# ( ١٠ ) القصر الرئاسي ..

مارس ٢٠١١ .. ابان الثورات العربية..

بكل مرارة الدنيا راح ذلك الشاب يقطع شوارع المدينة ..بلا هدف ..بلا امل..

كانت أنفاسه متلاحقة ونظراته تائهة ..كان هناك مزيجا مريرا ينفجر بداخله كل لحظة ..مشاعر مختلطة من الغضب والثورة والمرارة واليأس والحسرة والاحباط ..كل ذلك يسيطر على أعماقه ..على كيانه ..على ملامحه ..و... توقف فجأة.. نظر أمامه وخلفه ..ثم انحرف يمينا متجها إلى البحر..وهو يتذكر ..يتذكر الخمس سنوات الماضية ..خمس سنوات كاملة وهو يعمل وينطلق ويبدع ويعلن موهبته للجميع ..خمس سنوات كاملة كان يحلم فى كل دقيقة بأنه سيصل إلى هدفه وان عليه ان يعمل ويبدع حتى يصل ..واجه الظروف والمصاعب ..تحمل المتاعب والتحديات ..قاوم الصراعات والخلافات ..حاول ان يثبت ذاته ..ويعلن وجوده ..خمس سنوات كاملة فى مهنته التى يحبها ..يحيا حياة مختلفة ..حياة أفرغ فيها كل مشاعره وانفعالاته واحزانه وأفراحه ..حتى أفكاره وأهتماماته ..حتى فلسفته الشخصية ..حتى امكانياته المادية ..كان فى خدمة مهنته ..كان يحلم ان يكون أميرا متوجا فيها ..ولكن....

مرت السنوات ومازال مكانه ..رغم كفاحه وجهاده طوال المدة السابقة مازال مكانه ..خمس سنوات يعطى ولم يأخذ شيئا ..ومازال اسما اضافيا فى قائمة البطالة والعاطلين ..حلمه لكى يكون أميرا لم يتحقق ،حتى انه لا يوجد أى بارقة أمل لكى يتحقق..

وصل إلى شاطئ البحر ..نظر إلى امواجه ..إلى الأفق ..ولأول مرة رائحة البحر المنعشة تتحول فى أنفه إلى رائحة من نوع آخر..رائحة الأهمال والفساد والفوضى وضياع الحقوق ..اهمال الأهتمام بالمبدعين من أمثاله ومحاربتهم والسخرية منهم ..وفساد الحياة العملية التى تعطى للمحسوبية والواسطة الكلمة العليا فى اتخاذ القرارات إلى ان تحول المجتمع إلى مجتمع قاتل للمواهب ..والفوضى تفشت فى كل شئ وفى أى شئ ..وضياع الحقوق بسبب فئة آكلو حقوق البشر ،الذين يستنزفون القدرات والابداعات ..يستنزفون ما فى الجيوب ..ثم يتركونه بإنتهاء المصلحة ..هكذا تحول إلى آلة ..مجرد آلة ..تعطى فقط ..دون ان يكون هناك تقدم عملى أو مادى ..ثم ينظر إليه الأخرون من فئة آكلو حقوق البشر بنظرة عجيبة وكأنه يرتكب جريمة عندما يطالب بحقه فى الكسب من ابداعه وموهبته ..ولقد كان من الممكن ان يتحمل كل ذلك فى سبيل الوصول إلى هدفه الأسمى ..لولا نظرة الحزن والآسى التى تطل دوما من عينى والده ونظرة المستقبل المنتظر التى تطل من عينى فتاة أحلامه ..بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية الطاحنة والتى تتدهور كل ساعة تزيد الطين بلة ..وتجعل مستقبله ..فى طى المجهول .....

كان يمكن ان يتحمل ..ولكنه فى النهاية مجرد بشر ..وأصبح إبداعه وعقله ..وحتى جسده ..لا يملكون ذلك الحماس الدائم الذى كان عليه ....

ووسط دموع صامتة ..حطم أحلامه الكبيرة ..وبنى مكانها أحلاما صغيرة ..وأصبح كل تفكيره حاليا أن يكافح مرة أخرى للحصول على وظيفة تدر له دخلا يسمح له بالعيش فى مستوى آمن مطمئن..

وعند هذه النقطة من أفكاره ..كان يريد ان يصرخ فى وجوه الجميع .. لماذا؟؟ ..هل كل جريمته أنه موهوب؟ ..هل كل جريمته أنه مبدع؟ ..هل كل جريمته أنه يحلم؟؟ ..ها قد تحطمت الأحلام على أرض الواقع ..وطويت صحف الآمال وجف نهر الأمانى والطموحات ..و... وهنا ..

تبدلت ملامح الانكسار..

وكان القرار..

الغضب..

فأدار رأسه وتعلقت عيناه بالقصر الرئاسي الذى يقبع فوق ربوة عالية كاشفاً العاصمة كلها .. وانعقدت حاجبيه بشدة وتلاحقت انفاسه وفى تصميم واصرار وتحد تحرك مسرعا بخطوات قوية الى هناك ..

الى القصر.. و...

ولم يكن وحيداً ..

لم يكن وحيداً فى حنقه وغضبه ..

فبدون اتفاق أو إعلان ..

وجد نفسه وسط مئات الآلاف من المواطنين ..

شباب .. رجال .. سيدات .. مسنين ..

الكل خرج من مكانه .. من شارعه .. من صمته .. من يأسه ..

وفى شوارع المدينة كان الهتاف الموحد الهادر..

مطالبين بحقوقهم فى حياة ادمية كريمة

وتجمعت الحشود الضخمة الثائرة ..

والكل اتجه الى مكان واحد ..

القصر..

*****

اقتربت هليكوبتر حربية ضخمة من مهبطها المخصص لها داخل القصر الرئاسي وما أن حطت مكانها فى نعومة انفتح بابها الخلفى ليترجل منه اربع حراس عسكريون أشداء اصطفوا بسرعة وانتظام على جانبي الهليكوبتر حاملين اسلحتهم الآلية وعقب انخفاض هدير محركها هبط منها ابن الرئيس بقامته الطويلة وبدا متألقاً ببذلته السوداء الأنيقة ونظارته الشمسية الفاخرة وحقيبته الجلدية الثمينة .. وسرعان ما اتجه اليه ثلاث رجال آخرين كانوا فى انتظاره وبدون كلمة واحدة افسحوا له المجال ليتقدمهم ويعود الجميع الى داخل القصر..

وفى اقتضاب شديد قال ابن الرئيس وهو يعبر ردهة القصر بخطوات سريعة :

- أين هو ؟

اجابه احد الرجال الثلاثة الذين يتبعونه بلهجة يملؤها الاحترام والرهبة :

- فى حجرته ومعه الفريق الطبي ..

عاد ابن الرئيس يسأله :

- والحالة ؟؟

واجابه نفس الرجل السابق فى رد سريع :

- بشكل مبدئي .. خطيرة .. ولكن مازال طبيبه يقوم بعمله بشكل مكثف مع فريقه .

سارعه ابن الرئيسوالقى سؤاله التالي بنفس الصورة المقتضبة :

- ومتى حدث ذلك ؟

وهنا تحدث رجل آخر بصوت عميق مجيباً :

- منذ أن تلقى نبأ المظاهرات التى عمت البلاد مطالبة بإسقاطه وإسقاط النظام.

ألقى ابن الرئيسسؤاله بنفس السرعة المقتضبة :

- ومن أخبره ؟

رد عليه الثانى صاحب الصوت العميق :

- رئيس الديوان ..

وهنا دلف الى الجميع داخل مصعد خاص وضغط احدهم زر الصعود فتحرك بابيه ليتقابلان فى منتصفهوابن الرئيسيقول فى حسم صارم :

- حسابى معه سيكون عسيراً

وداخل حجرة نوم ضخمة فاخرة كان يرقد الرئيس على سريره الواسع فى حالة اعياء كامل وقناع التنفس الاصطناعي يغطى نصف وجهه وأجهزة طبية متعددة تتصل بجسده عبر انابيب خاصة وتصدر اصواتا منتظمة فى حين شاشتها تنقل قياسات الضغط والقلب والتنفس ويتابعها الفريق الطبي بترقب واهتمام شديدين يتوسطهم الطبيب الذى بدا واضحا انه أكثرهم خبرة وممارسة وهو يناقش معهم تقارير المتابعة.. وما ان دلف الرجال الاربعة الى الغرفة حتى التفت اليهم فإتجه اليه ابن الرئيس يسأله بدون أى مقدمات:

- ما الوضع الأن ؟

اجابه الطبيب فى أسف :

- صحة والدك حرجة للغاية .. وفى خلال الـ ٢٤ ساعة القادمة سيحدد فريقي الطبي ما اذا كان سنحتاج نقله للعلاج بالخارج أم لا ...

وفى نفس اللحظة وصل رجل خامس الى الغرفة استقبله الثلاثة والطبيب فى صمت مطبق بينما تجاهله ابن الرئيس الذى أومأ برأسه للطبيب متفهماً ثم اقترب من والده وأمسك بيده برفق شديد .. ففتح الرئيس عينيه ببطء ونظر الى ابنه الذى قال له بصوت يملؤه القلق :

- هل تريد قول شئ ما ..

هز الرئيس رأسه فى وهن وضعف فإلتفت ابنه الى الطبيب الذى هتف معترضاً:

- من الخطر رفع قناع التنفس الأن بالأضافة الى أن صحته لا تتحمل التحدث ..

تنهد الابن وهو يقول بحروف بطيئة ذات لهجة آمرة حاسمة :

- أريد دقائق معدودة ..

تردد الطبيب للحظات ولكنه وأمام اللهجة الآمرة تمتم فى عصبية مكتومة وهو يتجه الى الرئيس ويرفع قناع التنفس :

- حسناً .. خمس دقائق فقط ..

وما أن ابتعد القناع عن وجه الرئيس حتى اندفع فى صوت ضعيف وبمزيج من الغضب والألم :

- أنا .. أنا السبب فيما يحدث الأن فى البلاد .. تركتك تفعل ما تشاء وتنفذ سياساتك الفاشلة التى أدت بنا كلنا الى هذا الموقف المحرج ... ستتسبب لنا بالضياع .. (ثم اصابته نوبة من السعال الشديد فإقترب الطبيب فى جزع وقد حاول أن يضع قناع التنفس الاصطناعي على وجهه فأدار الرئيس رأسه بعيدا رافضاً القناع وهو يستطرد لاهثاً)

- لابد ... لابد من أن تقدم الحكومة استقالتها .. لابد من حل مجلس الشعب وحل الحزب الحاكم (ثم تتلاحق انفاسه بسرعة شديدة وهو يضيف) لابد .. لابد من اتخاذ اجراءات لتهدئة الاوضاع .. واجراء انتخابات رئا.....

قاطعه الابن عندما امتدت يده بسرعة شديدة لتضع قناع التنفس على وجه الأب قائلاً :

- أبى .. ما يهمنا الأن هو صحتك حتى تعود الينا .. ووقتها افعل ما تشاء..

وهنا .. ارتفعت اصوات مؤشرات الاجهزة الطبية وتصاعدت وتيرتها بسرعة شديدة فتحرك الفريق الطبي وانتشروا بين الاجهزة يرصدون قراءتها الجديدة فى حين صاح الدكتور بلهجة صارمة آمرة :

- أرجو من الجميع مغادرة الغرفة فوراً ..

وبدون كلمة واحدة اتجه الجميع الى الغرفة المجاورة وجلسوا جميعاً وتبادلوا نظرات ذات مغزى وتساؤل واحد ..

ماذا سيحدث ؟؟ ..

وبقى السؤال حائراً..

بلا إجابة ..

*****